# خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

## ٢ من رمضان ١٤٣٦ هـ / ١٩ من حزيران ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٣-١٠٤].

معاشر السادة: إن لشعائر الإسلام قوى روحية، تُهذب شخصية الفرد، وتدعوها للفضيلة وتوجهها نحو حياة اجتماعية تقوم على العدالة والإخاء، فالصلاة كتاب موقوت على المؤمنين يؤدونها في أوقاتها الخمس أفراداً وجماعات، وهي تجديد للصلة بالله وترسيخ لمعاني الالتزام الحق ونهي عن الفحشاء والمنكر، والصوم تعليمٌ للصبر على الشدائد والمشاق وتطويع للرغبات والشهوات، والزكاة تسخيرٌ للأموال والثروات الخاصة نحو الغايات التكافلية العليا، ليست الزكاة التزاماً مَالياً مُجرداً فحسب وإنما هي مشاركة للمعسور في ثروة الميسور وحق معلوم للسائل والمحروم، والحج شعيرة احتفاء بالوحدانية لله، واتحاد للأمة ورمز التقاء الجميع حول قِبلةٍ واحدة يقصدونها عند كل صلاة، ويَزورونها مرة في العمر على الأقل حين يَحجون.

إن هدف الإسلام هو رفعة الإنسان بغرس الإيمان في قلبه، فبالإيمان وحده يتحقق التطور الاجتماعي.

إن آفة المسلمين في أحيان كثيرة أنهم يتصورون الأمور تصوراً ساذجاً، حيث يتصور الكثيرون الإحسان أن تدخل يد في جيب فتخرج مبلغاً ما وتضعه في يدٍ ممتدة تنتظر العطاء، وهذا الفهم السائد للإحسان لم يُذهب فقراً ولم يُحارب عيلة، بل جعل الإحسان في بلادنا فوضى مُؤسفة، وهذا الأسلوب من الإحسان يَنتظر الفقر أن يَقع ثم هو بعدئذ يُعالجه، أي أنه يترك البؤس يخط مجراه في الحياة عَميقاً بعيداً، ثم تَتجه الجهود بعد ذلك إلى ردمه، ومثل ذلك أن نملأ نهراً ما بقوابع البلهاريس وديدانها، ونسوق الأقدام الحافية

سوقاً إلى دوسها والعمل في مباأتها، وترصد بعد ذلك الألوف المؤلفة لمحاربة الأمراض المتوطنة، وقد قيل: إن الوقاية خيرٌ من العلاج، فهل الإسلام هو الذي يَمنع الأمم أن تقي نفسها ضراوة الفقر وعَض أنيابه المسمومة؟ وهل الإسلام هو الذي يَصرف الأمم عن ابتكار الأنظمة والقود الاقتصادية التي تقتل الفقر قبل أن يولد وتأد جنينه قبل أن يبرز إلى الحياة ثم يتحول على مر الليالي مارجاً من نار؟ إن الإسلام لا يمنع الأمم أن تصون مصالحها، بل إن الإسلام ينظر إلى الفقر على أنه معرة وسبّة يَوم يكون نتيجة الخمول والقعود وعقب التفريط والاستحماق، وربما تتساءل بأن هناك آيات وأحاديث ذكرت الفقراء، بخير فهل يعني ذلك أن الفقر شرف؟ إن الفقر –يا سادة– الذي أشاد به الإسلام هو فقر التضحية، وما فقر التضحية؟ إن رجلاً يَكون عامر الخزائن واسع الجاه، فيعتنق مبدأ كريماً يَبذل مِن أجله النفس والنفيس، ويَبيع راحة البال والوداعة مع الآل في سبيل فكرته التي آمن بها، ويَلحقه مِن جراء ذلك البؤس والعنت، وإلى ذلك أشار القرآن بقوله سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] هذا فقر جَرَّه النضال وعرفته الأمم كافة في عظماء الرجال من بنيها، وعندما ندرس سيرة الرسول ﷺ وصحابته، تتأكد لنا هذه الحقيقة ونعرف ما يعنيه الإسلام عندما يمجد ألواناً من الحياة القاسية والمعيشة الغليظة، روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: ((هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله عز وجل ؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: الفقراء المهاجرون، الذين تُسد بهم الثغور، وتُتقى بهم المكاره، ويَموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله لمن يشاء لملائكته: ايتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: ربنا نحن سكان سماءك وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عباداً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، وتُسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاءً، قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] أجل لقد صَبروا على الفقر، ولكن أي فقر؟ إنه ليس فقر الصعاليك من المتبطلين وذو الهمم الباطلة، وذوي الهمم الباطلة الساقطة، لقد زهدوا في الدنيا ليس عن عجز فيها، بل عن تطلع لما فوقها، فلما جاءتهم الدنيا تَوسلوا بها لما يريدون، ففرغت أيديهم منها، وانطلاقاً من ذلك – يا سادة نظر– الإسلام إلى الثراء بأنه وظيفةٌ اجتماعية لا نِعمةً شخصية، فإن الإسلام ربط بالثراء مِن الحقوق العامة ما لا يُحصى، وجعل الغني في ثروته كالموظف الذي يُسند إليه منصب ما، فإن قام بأعبائه

بقي به، وإلا عزل عنه، وقد رويت آثار اللطائف تُشير إلى هذا المعنى، فقد روى الطبراني عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: ((إن لله عند أقوام نعماً أقرها عندهم ما داموا في حوائج الناس ما لم يملوهم، فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم)) وعن ابن عباس قال: (ما من عبد أنعم الله نعمة فأسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس إليه فتبرم إلا عَرَّض تلك النعمة للزوال).

لقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دقيقاً بالغ الدقة في سياسته المالية، وكان يَعتبر الإشراف على الحركة المالية أساساً للإصلاح الاجتماعي والسياسي معاً، وهذا حق، فإن الاضطراب الاقتصادي يَجر وراءه حتماً ذُيول الفوضى ويُوهي أمتن الأواصر بين طوائف الأمة ويؤجج نيران الفرقة والبغضاء بين بنيها، لذلك أمسك عمر بالزمام الاقتصادي للبلاد بِيَدٍ من حديد، ولم يكن يفعل ذلك إلا لمصلحة الشعب العليا، هذه المصلحة التي كانت تجعله يطوف ببيوت الفقراء في المدينة يَقرع أبوابها ويَسأل النساء: ألكنّ حاجة؟ وكان يَسير خلف البريد إذا أتى من الثغور حيث يُرابط المجاهدون، ثم يقف بأبواب قائلاً: أزواجكن في سبيل الله، وأنتنَّ في بلد رسول الله، إذا كان عندكن من يقرأ الرسائل، وإلا فاقتربن من الأبواب حتى أقرأ لكن.

إن عمر بن الخطاب بتصرفه هذا يدرك أن الإسلام في أحوال الحروب والأزمات يفرض على الأمة تقديم المال وتقديم النفس للدفاع المقدس عن البلاد، عملاً بقوله جل جلاله: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١] كما أهاب عمر بأغنياء المسلمين ألا يَبخلوا بأموالهم عن المرابطين في الثغور ولا عن أهلهم الصابرين على ألم الفراق والفاقة، عملاً بقول النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم عندما قال في الحديث الصحيح: ((من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا)).

معاشر السادة: لقد رأينا مَسلك أغنياء اليهود تجاه قضاياهم القومية والاجتماعية والإنسانية، فوجدناهم أناساً يَرعون شعوبهم ويُنصفون أتباعهم ويَنهضون بالأعباء الثقال التي تُلقى عليهم، نعم ينهضون بالأعباء الثقال التي تلقى عليهم، أما بعض أغنيائنا مع الأسف تراهم أشد الناس إسرافاً في ملذاتهم الشخصية، وأشدهم ضناً على شؤون الوطن والمجتمع، وكأن وازعاً خفياً يُوحي إليهم أنهم جمعوا ثرواتهم من باطل، فينبغي أن تُنفق في مصارف السحت والفجور وحدها، ولذلك قلما تظفر بها نواحي ووجوهات الخير على طول الانتظار وحرقة الظمأ.

إن الصلة بين صديقين تتعرض لقطيعة، بأنه لو نزلت بأحدهما مصيبة ثم لم يقم الآخر بواجبه تلقاءها، وهناك بعض أغنياء المسلمين مع الأسف الذين أثروا من جيوب الشعب وانتفخوا على مسغبته يشاهدون النوائب الضامة تنزل به، وألوان البأساء والضراء تتساقط عليه، فلا تزيدهم هذه الأحزان المترادفة إلا كزازة يد وقسوة قلب، وكلما هبطت على الناس كارثة رأيت هؤلاء في أبراجهم السامقة يمطون شفاههم ويهزون أكتافهم، وكأن الأمر لا يعنيهم في قليل أو كثير، فأي مودة تبقى في قلوب الشعب لأولئك الذين سَرقوه أولاً وقتلوه أخيراً، وسيكتب التاريخ نعم سيكتب التاريخ أن الوطن بحث عن بعض أصحاب الخزائن المليئة ليأدوا واجبهم فلم يسمع لهم رجزاً.

معاشر السادة: الإسلام دين تعاون، الإسلام دعانا إلى التكاتف والتعاضد، وأن نكون جميعاً في خندق واحد في أيام الحرب وفي أيام السلم، وسورية اليوم وطننا الحبيب يُواجه أشرس الحروب والمعارك التي حَدثت في التاريخ، فالواجب علينا على كل غني مقتدر أن يقف إلى جانب الشهداء وأسر الشهداء، أن يتفقد أزواج الشهداء وأمهات الشهداء وأبناء الشهداء، والواجب أن يقوم بماله بكل دور يقوم فيه في خدمة هذا الوطن، لا يَنبغي فقط أن نترك المسؤولية على الجيش فقط، أو على طائفة معينة من الناس، ثم نَترك الأمر وكأن البلد لا يعنينا، وكأن أمور الحرب لا تهمنا، الواجب علينا اليوم أمام هذه الحرب الشرسة أن نَقف في صف واحد وفي خندق واحد، وأن نتكاتف مالياً ومادياً ومعنوياً حتى نستطيع أن نَنتصر على أعدائنا.

أَلا ترون –يا سادة– إلى هؤلاء الشرفاء الذين يكافحون وينافحون عن الوطن من عسكريين ومدنيين؟ ألا ترون إلى أهلنا في السويداء؟ مِن أراد أن يتعلم الوطنية وحب الوطن فليذهب إلى السويداء، كَيف وقف أهل السويداء جميعاً في صف واحد ضِد داعش فاحش، هذه العصابات الإرهابية المجرمة التي جاءت تَقتل وتقطعه الرؤوس وتحرق الأجساد باسم الله وباسم دينه العظيم، كيف انهارت تلك العصابات المجرمة على أسوار السويداء، ونحن نقول وقلناها من قبل: لن يستطيع أحد أن يخترق السويداء على الاطلاق أبداً، لأن أهلها يعرفون الوطنية، لأن أهلها يقدسون تراب هذا الوطن، لأن شيوخ السويداء شيوخ بني معروف لهم تاريخ عظيم في الدفاع عن هذا الوطن، وما أجمل مَوقف الحسكة موقف الشرفاء في محافظة الحسكة، هؤلاء الذين أدركوا كلمة السيد الرئيس بشار الأسد القائد المؤمن، عندما ذهب إلى محافظة الرقة قال تلك الكلمة مخاطب الشعب بأسره: بقدر ما نكون أقوياء في الداخل نكون أقوياء في الخارج.

ونتوجه بالتحية والإجلال إلى أهلنا في حلب، من أراد أن يتعلم الصمود والتضحية فليذهب إلى حلب الشهباء، أهل حلب الذين يُعانون ما يُعانون من قذائف الحقد والإجرام التي تُلقى على المدنيين، بدعم أردوغاني بدعم سعودي بدعم أردني، كم وكم نعاني اليوم من الجبهة الجنوبية حيث نجد النظام الأردني – مع الأسف– يَدَّعي بأنه مُسلم، يَدَّعي بأنه عربي، أنا أُريد أن أسأل النظام الأردني سؤالاً، لماذا تَعمل على حماية وصيانة إسرائيل كما عمل والدك، وتجيش الحرب اليوم على سورية بكل ما أوتيتم من قوة ومكر وخيانة؟ لماذا؟ فقدتم دم العروبة؟ فقدتم الإسلام؟ أي إسلام تدعون؟ أي عروبة تدعون؟ أين حق الجوار؟ أنا أسأل النظام الأردني فأقول له: أين حق الجوار؟ واللهِ نحن كسوريين قيادة وحكومة وشعباً لا نَرضى على الإطلاق أن يَمس أردني في بلده وبين أهله بسوء، لأن هذه الأخلاق أخلاق ديننا، هي أخلاق شريعتنا، هي أخلاق عروبتنا، أما أخلاقكم يا قذرة من أين جئتم بها حتى تجيشوا على قتلنا وعلى الإجرام بنا وعلى هتك أعراضنا وقيمنا؟ لكننا نقول لكم: نحن هنا في دمشق في هذا الشهر المبارك في رمضان الذي نتعلم فيه الصمود والإرادة والصبر والتضحية نقول لكم: لن تنجحوا في حربكم على سورية، لماذا؟ ألا ترون الأعجوبة –يا سادة– وهي ليست بأعجوبة، ألا ترون الأعجوبة عندما وجدنا أبناء الوطن في السويداء في الحسكة في دير الزور في غيرها من المناطق وجدنا شباب الوطن يذهبون إلى ساحات الوغى لينضموا مع الجيش العربي السوري، وليقولوا للعالم بأسره: إما حياة كريمة أو موت كريم، هذا مبدؤنا يا خونة، هذا مبدؤنا يا من تآمر علينا، يا من تكالب علينا، هذا مبدؤنا: إما أن نعيش كراماً أحياءً، وإما أن نموت كراماً.

عـــش عزيـــزاً أو مـــت وأنـــت كـــريم  بـــين طعـــن القنـــا وخفـــق البنـــود

في شهر رمضان يزداد المسلم صبراً وعزيمة وتضحية، ونحن لَن نتخاذل أبداً، لن نتراجع أبداً، لن نستسلم أبداً، لن نخافكم أبداً، لن نركع لإجرامكم أبداً، لأننا أصحاب حق، أصحاب قضية، ندافع عن وطننا، ندافع عن فلسطين الحبيبة، وجهتنا في جهادنا هي القدس، كما علمنا الله في قرآنه الكريم، وكما أمرنا رسوله الكريم، أما أن نقتل عربياً أو نُحرض على بلد عربي هذه ليست من أخلاقنا، هذه ليست من شيمتنا، هذه ليست من عروبتنا، أما أنتم فعودوا وانظروا إلى أنفسكم وراجعوا حساباتكم، وافتحوا دفاتركم

وانظروا في سجلكم وسجل تاريخكم، وانظروا هل أنتم تخدمون العروبة والإسلام، أم أنتم خدمة لبني صهيون أولاً وأخيراً؟ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

**الخطبة الثانـــــ٢ـية:**

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا مُحَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم إنا نسألك أن تبارك لنا في شهر رمضان، وأن تعيننا فيه على الصيام والقيام وغض البصر وحفظ اللسان، وأن تجعلنا فيه من عتقائك من النيران، اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا ونور أبصارنا وذهاب همنا وحزننا وغمنا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تكون لهم معيناً وناصراً في السهول والجبال والوديان، اللهم إنا نسألك أن تثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد لما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، اللهم أعد علينا هذا الشهر العظيم بالنصر والخير واليمن والبركة للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

مديرية أوقاف دمشق